﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾ [آل عمران: 192]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ما للظّالمين من نجاةٍ ولا فرارٍ، إلّا إلى النّار وبئسَ القرارُ

لَمَّا وصفَ بيانُ اللّهِ في الآيةِ السَّابقةِ، أهلَ العقولِ الذّكيَّة، في ذكرِهم للّهِ في جميعِ أحوالِهم، وتَفكُّرِهم في خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، واسْتغاثَتِهم باللّهِ، أن يَقيَهم عذابَ النَّار، جاءَ بيانُ اللّهِ في هذه الآية الكريمة، ليُتمِّمَ اسْتجارتَهم باللّهِ، بأنْ لا يجعلَهم ممَّن يُخزيهم، أو يجعلَهم من الظَّالمين؛ لأنَّ مصيرَ أولئكَ هو النَّار، "إنّهم يضرعون إلى ربّهم قائلين: يا ربّنا وخالقنا، إنّ من يستحقّ النّار بأعمالِه السّيئةِ سيلقاها لا محالة، وبذلك تكون قد أخزيته، وأظهرتَ فضيحتَه، وليس للظّالمين الّذين استحقّوا النّارَ أنصارٌ يحمونَهُم يومَ القيّامة من دخولِ النّار"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾: خَزِيَ الرَّجُلُ: لَحِقَهُ انْكسارٌ، إمَّا من نَفْسِه، وإمَّا من غيرِه، فالَّذي يلحقُه من نَفْسِه، هو الحياءُ المُفرِطُ، ومصدرُه الخَزَايَةُ، ورَجُلٌ خَزْيانٌ، وامرأةٌ خَزْيَى، وجمعُه خَزايا، والَّذي يَلحقُه من غيرِه، يُقالُ: هو ضَرْبٌ من الاستِخْفاف، ومصدرُه الخِزْيُ، قالَ تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الزّمر: 26]، وقولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ﴾ [التّحريم: 8]، فهو من الخَزَاية والخِزي جميعًا، وإنْ كانَ مِنَ الخِزْيِ أَقرَب[2]، قال الواحديّ: " للإخزاء معانٍ متقاربةٌ، يقال أخزاه اللّه أي أبعده، وقيل

(1) القطّان، تيسير التّفسير: 1/259.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 281.

أهانه، وقيل أهلكه، وقيل فضحه، قال ابن الأنباريّ: الخزيُ لغةً الهلاكُ بتلف، أو بانقطاع حجّةٍ، أو بوقوع في بلاء، والمعنى فقد أخزيته خِزياً لا غايةَ وراءَه"[1].

2) ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: تقدَّمَ تفصيلُ الكلام في معنى (الظُّلم)، يقال: ظلمه يظلمه ظلما ومظلمة، وأصله وضع الشّيء في غير موضعه، ويقال: (مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ)[2]، وقوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، "يحتملُ أن يكونَ من قول عيسى - عليه السلام - لبني إسرائيل، ويحتملُ أن يكون إخبارًا مستأنفًا لمحمّد ﷺ"[3].

3) ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: النَّصرُ والنُّصْرَةُ: العَوْنُ، قالَ تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: 13]، ونُصرةُ اللّهِ للعبدِ ظَاهِرةٌ، ونُصرَةُ العَبْدِ للّه: هي نُصرتُه لعبادِه، والقيامُ بحفظِ حُدودِه، ورِعايةِ عُهُودِه، واعْتناقِ أحكامِه، واجْتنابِ نَهيِه، قالَ تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: 7]، والانْتصارُ والاسْتِنْصارُ: طلبُ النُّصْرَة، كما قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: 39]، ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: 72]، وإنَّما قالَ نوحٌ عليه السلام: ﴿فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: 10]، في قولِه تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: 10]، ولم يقلْ: انْصُرْ؛ تنبيهًا أنَّ ما يَلحقُني يَلحقُكَ، من حيثُ إنِّي جِئتُهمْ بأَمرِك، فإذا نَصَرتني فقدِ انْتصرتَ لنفسِك، والتّناصرُ: التَّعاون، قالَ تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصافات: 25][4]، ونُصِرَ أرضُ بني فُلان؛ أي: مُطِرَ، وذلك أنَّ المَطَرَ هو نُصرةُ الأرض[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يتوجّهُ المؤمنونَ المتفكّرونَ في آياتِ اللّهِ في كونِه بالدُّعاءِ إلى مولاهُمْ وخالقِهم أنْ يَقيَهم عذابَ النَّار؛ لأنَّ الإهانةَ كُلَّ الإهانةِ هي في دخولِ النَّار، ويُقرِّرُ بيانُ اللّهِ حقيقةَ مَنْ ظَلمُواْ وتجبَّرواْ في الدُّنيا، أنَّه لا مُجيرَ لهم، ولا مُدافعَ عنهم يومَ القيامة، وخلاصة

(1) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/131.

(2) الجوهريّ، الصّحاح: (ظَلَمَ)، والشّطر صدر بيت لزهير بن أبي سلمى، ومعناه: فما وضع الشّبه في غير موضعه، وهو بتمامه:
أَقُولُ كَمَا قد قَالَ قَبْلِيَ عالِمٌ *** بِهِنَّ وَمَنْ أَشْبَهَ أَباهُ فَمَا ظَلَمَ
ينظر: كعب بن زهير، ديوانه، ص: 65، وكذلك: شرح المفضّليات، ص: 701.

(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/221، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/468.

(4) الرّاغب، المفردات، ص: 809.

(5) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/46.

من وقاه اللهُ نارَ القيامة، فقد فازَ في مآلِهِ، وحاز في الجنّة مقامهُ

ذلك: "أي إنّهم بعد أن يدعُواْ ربّهم أن يقيهم دخولَ النّار، يتوجّهُون إليه قائلين هذا القول، دلالةً على عظم هذا العقابِ وشدّته، وهو الخزيُ والفضيحةُ، ليكون موقعُ السّؤال أعظمَ، لأنّ من طلبَ من ربّه شيئًا، وشرح عظمَ المطلوب وقوّتَه، كانت الدّاعيةُ إلى الدّعاءِ أكملَ، والإخلاصُ فى الطّلب أشدَّ"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة تصدير الآية بالنّداءِ:

التصدير بالدّعاءُ للمُبالغةِ في التّضرُّعِ، والجؤار إليه

لقد نادَوا ربَّهم بأرقِّ لفظٍ وأجملِ بيانٍ مُشْعرٍ بالحنان، والشفقة؛ فقالوا: "﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾؛ أي أهنتَه وفضحتَه، و﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ يعني: ما للمشركين من مانعٍ من العذاب، إذ نزلَ بهم"[2]، وفي تصدير الجملة بالنّداء مبالغةٌ في التّضرعِ والجُؤار[3].

فائدة التوكيد في الآية:

في التوكيد بـ (إنَّك) إظهارٌ لكمالِ اليقينِ بالمضمون، والإيذانِ بشدَّةِ الخَوْف

وسِيقَ التَّأكيدُ بـ ﴿إِنَّكَ﴾ لإظهارِ كمالِ اليقينِ بمضمونِها، والإيذانِ بِشدَّةِ الخَوْف، وتوثيق الطّلبِ بالدّعاء الرّاسخ المخلص، بأن يقيهم اللّه مغبّةَ الهوانِ، وحرجَ العذابِ الهُونِ، وهناك لا نصرةَ للظّالمين، ولا عونَ لهم ولا سندَ، بل سيواجهون الحقيقةَ وجهًا لوجه؛ حيث يتجلّى بيقين قولُ اللّه: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[4].

أفادَ التوكيدُ المبالغةَ في تضرُّعِ أصحابِ العقولِ الرَّشيدةِ، أنْ يَقيَهم اللهُ من دخولِ النَّار

قولُه تعالى ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾: جاءَ قولُه: ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ﴾ بعدَ الدُّعاءِ بالوِقايةِ من النَّارِ في قولِه: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، مبالغةً في اسْتدعاءِ الوِقاية، وبيانًا لِسَببِه.

(1) المراغيّ: تفسير المراغيّ: 4/164.
(2) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/274.
(3) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/628.
(4) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/628.

إظهارُ ﴿ٱلنَّارَ﴾ في مَوْضعِ الإضمار:

إيثارُ الإظهار على الإضمار بيانٌ لهول أمر النار

وإظهارُ ﴿ٱلنَّارَ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ في مَوْضعِ الإضمار؛ لتهويلِ أمرِها[1].

نكتة اصطفاء لفظي (الإدخال، والخزي) في مورد العذاب:

في إيثار لفظي: (الإدخال، والخزي) تعيين للكيفيّة، وتبيين لفظاعة العذاب

ذُكِرَ الإدْخالُ في ﴿تُدۡخِلِ﴾ في موردِ العذابِ؛ لتعيينِ كيفيَّتِه وتَبيينِ غايةِ فَظاعتِه، والخِزيُ لغةً: الهلاكُ بِتَلَفٍ، أو بانْقطاعِ حُجّةٍ، أو بوقوعٍ في بلاءٍ؛ والمعنَى: فقدْ أَخْزيتَه خِزْيًا لا غايةَ وراءَه، ولا منتهى له، وفيه كذلكَ مِنَ الإشْعارِ بفظاعةِ العذابِ الرُّوحانيِّ ما لا يَخفَى[2]، جاء في لطائف الإشاراتِ "من ابتليتَه في الآجلِ بالحرقةِ فقد أخزيتَه، ومن ابتليتَه بالفرقةِ في العاجلِ فقد أشقيتَه، ومن أوليتَه بيُمن الوصلةِ، فقد آويتَه وأدنيتَه"[3]، وذلك مُبتغى المؤمن في رجائه الفلاحَ في الدّنيا، والفوزَ في الآخرة، وقد قال تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: 185].

دلالةُ التّذييلِ في الفاصلة:

فائدة التذييل بيان شنيع حالهم بفقدان الناصر والمخلّص

وفي قولِه: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ تَذييلٌ لإظهارِ نهايةِ فَظاعةِ حالِهم، ببيانِ خُلودِ عذابِهم بفُقدانِ مَنْ يَنصُرُهم، ويقومُ بتَخليصِهم، وغَرَضُهم تأكيدُ الاسْتدعاء.

بلاغة التّعبير بلفظ ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

في إظهار لفظ الظالمين مزيدُ ذمٍّ لهم، وفي جمعه وصوغه دليل كثرتهم، ورسوخ صفة الظلم فيهم

ووضَعَ ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ موضعَ ضميرِ المُدْخَلينَ لِذَمِّهم، والإشْعارِ بتعليلِ دُخولِهمُ النَّارَ بظُلمِهم، ووضعِهمُ الأشياءَ في غيرِ مواضِعها، وصوغه على هيئة الفاعل مجموعًا دليل كثرتهم، ورسوخ صفة الظلم فيهم؛ ممّا يجعلهم مستحقين للعذاب، وجَمعَ الأنصارَ بالنَّظرِ إلى

(1) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/628.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/628.
(3) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/306.

جميعِ الظَّالمين؛ أي: ما لِظالمٍ من الظَّالمينَ نصيرٌ من الأَنصار؛ والمرادُ به: مَنْ ينصُرُ بالمُدافَعةِ والقَهْر[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الخِزْي والذِّلّ

سبقَ بيانُ (الخِزْي)، وهو أن يلحق الرَّجُلَ انْكسارٌ، إمَّا من نَفْسِه، وإمَّا من غيرِه، وأمَّا (الذُّلُّ): فهو ما كانَ عن قَهْر، يُقالُ: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا، والذِّلُّ بالكسر، ما كان بعد تصعّب، وشماس من غير قهر[2]، وقولُه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: 24]؛ أي: كن كالمقهورِ لهما، قالَ اللهُ تعالى عنِ اليهود: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ [البقرة: 61]، والذُّلُّ متى كانَ من جهةِ الإنسانِ نفسِه لِنَفْسِه فمحمودٌ، كما في قولِه تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 54][3]، والخِزْي كما سبقَ يَلحَقُ صاحبَه انكسارٌ واسْتِخفافٌ وهَوانٌ، مع زيادة معنًى آخَر، وهو أنَّ الخِزْيَ ذُلٌّ مع افْتِضاح[4]، ولذلكَ اسْتخدمَ البيانُ الإلهيُّ كلمةَ (الخِزْي)، بدَلَ (الذُّلِّ)، فهي أوقعُ أَثَـرًا في مفهومِ سِياقِ النَّصِّ القُرآنيِّ الَّذي وَرَدتْ فيه.

النُّصْرة والوَلاية

سبقَ بيانُ (النُّصْرة) في فِقرة: شرح المفردات، وهي العَوْنُ بكلّ أشكاله وألوانه، بغرض المؤازرة والتّأييد والدّعم، وأمَّا (الوَلاية) - بفتحِ الواو - : فهي النُّصْرَةُ لمحبَّةِ المَنصور والسُّمعَة؛ لأنَّها تُضادُّ العَداوة، والنُّصرةُ تكونُ على الوَجْهين[5]، وأولئكَ الظَّالمون ليس لهم في واقعِ الحالِ الَّذي كانواْ عليه في حياتهمُ الدُّنيا، من أولياءَ يَنصرونَهم ويُؤازرونَهم، بدافعِ المحبَّة والخوفِ عليهم؛ بل بدافعِ المصالحِ الشَّخصيَّة، والمكاسبِ الماديَّةِ الدُّنيويَّة، والخوفِ على أنفُسِهم هُمْ، لا على أولئك؛ ولذلكَ لم يَستخدمِ البيانُ الإلهيُّ كلمةَ (الوَلاية)؛ لأنَّها لا تُحقِّقُ المرادَ من سِياقِ النَّصِّ القُرآنيّ، الَّذي يَفضَحُ أولئكَ

(1) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/628.
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس: (ذلل).
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 330.
(4) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 215.
(5) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 577.

الظَّالمينَ، بأنَّ مَنْ كان يَشُدُّ أَزْرَهم، ويُدافعُ عنهم على الوَجهِ الَّذي ذكرناه، هو الآن بِمنأَى عنهم؛ بل هو يَحتاجُ لمن يُواليه ويُناصرُه، لكن لا سَبيل، وهذا على مبدأ قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: 94].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»